# الحياة الاقتصادية في زَوزَن من القرن الأول الهجري حتى نهاية القرن الثالث الهجري

د. غزوة شهاب احمد المصطاف

جامعة سامراء – كلية التربية / قسم التاريخ

## المقدمة

تكمن أهمية البحوث الاقتصادية في التأريخ في أنها تمثل مرآة تعكس أحوال المجتمع السياسية والاجتماعية حيث يتضح من معرفة الأوضاع الاقتصادية مدى استقرار المجتمع سياسيا واجتماعيا من عدمه.

أضافة إلى أنها توضح الموارد الاقتصادية للمجتمع وعلاقته الاقتصادية بالمجتمعات الأخرى والنظم والوسائل التي يستخدمها أفراد المجتمع في مزاولة نشاطهم الاقتصادي مع وجوب معرفة العوامل المؤثرة في هذا النشاط سلبا وإيجابا.

من هذا المنطلق فأن هذا البحث يعنى بدراسة الأوضاع الاقتصادية في واحدة من المدن الإسلامية المشرقية ألا وهي زوزن في القرون الثلاثة الهجرية الأولى/ ٦_ ٨م والمؤثرات الطبيعية التي ساهمت في هذا النشاط فضلا عن المتغيرات التي طرأت عليه بشكل عام والمتمثلة بظهور الإسلام ودخول المدينة ضمن الدولة العربية الإسلامية .

ISSN : 1813-6798

ولابد من التنويه أخيرا بناحية مهمة، فبالرغم من المعلومات الضئيلة جدا والمنتشرة في ثنايا مصادرنا ولاسيما الجغرافية منها، يمكن القول إن المجتمع الزوزني كان ذا طابع حضري وهو أمر جدير بالاعتبار يؤشر طبيعة الرقي والتقدم في حياة أفراده من جهة، ويرتبط بطبيعة الوضع الاقتصادي من جهة أخرى، وتأثيرهما متبادل

سلبا وإيجابا، فكأنهما وجهان لعملة واحدة، وهذان الأمران واضحي التأثير أيجابا في المجتمع الزوزني فمثلا عرف عن الزوزنيين اهتمامهم بمظهرهم، وأبنيتهم وتحديدا بعد الفتح العربي الإسلامي لخراسان عموما ومن ضمنها زوزن أن هذا الواقع الحضري للمجتمع الزوزني أستند إلى أرضية اقتصادية نشطة أمدت الأهالي لما يحتاجونه في حياتهم الحضرية .

منهجيا قسم البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة:

أما المبحث الأول: الجغرافية التأريخية للمنطقة

أولا: التسمية.

ثانيا: الموقع الجغرافي.

ثالثا: الفتح الإسلامي لزوزن.

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية وتشمل :-

أولا: الزراعة ونظم الري.

ثانيا: الثروة الحيوانية.

ثالثا: الثروة الطبيعية.

رابعا: الصناعة.

خامسا: التجارة.

الأستنتاجات

**١ – التسمية:**

تبدوا قضية البحث في تسمية مدينة زُوزن شائكة للغاية، فمن غير المعروف بشكل دقيق إن كان الاسم قد أطلق عليها منذ القديم، أو متى سميت به، والواضح أنه استعمل بصيغته هذه أيام الساسانيين[١]، وقد بقي الاسم يتردد بالصيغة نفسها في العصور الإسلامية اللاحقة.

إلا أن مصادر التاريخ قدمت ثلاث روايات حول أصل التسمية، مختلفة عن بعضها تماماً.

- الرواية الأولى: ذكر الاسم في المصادر الفهلوية القديمة على شكل (سوزيا) و(سوزيان) ثم حورت إلى (سُوسن) و(زُوزن)[٢].
- الرواية الثانية: يذكرها المؤرخون المهتمون بالأنساب وبعض الجغرافيين سبب تسميتها أن النار التي كانت المجوس تعبدها حملت من أذربيجان إلى خراسان على جمل.

فلما وصل إلى هذا الموضع، برك الجمل عنده فلم يبرح فقال بعضهم زُوزن والأصح زُود زن – أي عجل واضرب الجمل لكي ينهض، فلما امتنع من النهوض بني بيت للنار هناك[٣].

- الرواية الثالثة: يسوقها تفسير أهل المنطقة فإن الكلمة أصلها ( زُوزنه) وهي تركيب من لفظتي زو _ زنه بمعنى مجرى ومسيل الماء[٤].

وبما أن الرواية الثالثة تبدو أكثر دقة علمية، أضافة إلى أنها مأخوذة من أهل المنطقة أنفسهم لذا ترجحها الباحثة، علماً أن هذه المدينة يرويها مجرى يأخذ مياهه من نهر هيلمند الذي ينبع من جبال أفغانستان الحالية[٥].

**ثانياً: الموقع الجغرافي:**

تعد زُوزن إحدى مدن نيسابور الواقعة ضمن إقليم خراسان[٦] حيث عرفت نيسابور قديما باسم نشاوور[٧]، لكن الفرس اطلقوا عليها (نيشابور)، وعندما بسط العرب المسلمون نفوذهم في إقليم خراسان عربوا اسم المدينة إلى نيسابور حيث اكتسبت هذه المدينة أهمية كبيرة مثل مرو، وهرات، وبلخ، وغيرها[٨] .

واتفق الجغرافيين حول امتداد المدينة وحدودها فأشار الإصطخري (٣٤٦هـ/٩٥٧م) لنيسابور حدود واسعة، ورساتيق عامرة، ولها مدن منها زوزن وكهندز[٩] .

أما المقدسي ( ت٣٨١هـ/٩٩١م) فوصفها مدينة كبيرة على بعد أربعين فرسخاً من نيسابور كثيرة الحاكة وصناع اللبود[١٠].

ووصفها الحموي بقوله: ( زوزن كورة واسعة بين نيسابور ووهرات، وكانت تعرف بـ "البصرة الصغرى لكثرة من أخرجت من الفضلاء والأدباء وأهل العلم"[١١].

وقد عدها حمد الله مستوفي ( ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) ولاية من ولايات نيسابور [١٢].

وتقع في الوقت الحاضر على بعد ٦٠كم جنوب غرب محافظة خراسان ولاتزال قائمة حتى الوقت الحاضر[١٣] .

ثالثا: الفتح الإسلامي لزوزن:

يرتبط فتح المدينة بفتح نيسابور لما لهذه المنطقة من أهمية سياسية وعسكرية، واستجابة لنداء الخليفة الثالث عثمان بن عفان ( رضي الله عنه ) سارع عبد الله بن عامر والي البصرة بإعداد العدة، فجهز جيشاً وتوجه إلى خراسان فاتحاً، وكانت مدينة طبسين[١٤]غرة الفتح على أيدي ابن عامر، وبعد السيطرة على هذين

الحصنين وقرر السير بقيادته إلى أعمال نيسابور، وأفلح في فتح عدد غير قليل من الرساتيق[١٥] ومنها: بشت[١٦] وزاوة[١٧]، وزوزن حيث تمكن من فتحها بعد حرب ضروس طويلة[١٨].

وبعد أن تحقق للمسلمين فتح زوزن قرر القائد عبد الله بن عامر التوجه إلى نيسابور المدينة الحصينة، وتم فتحها سنة (٣١هـ/٦٥١م)[١٩].

**المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية.**

تعد كتابات الجغرافيين العرب والمسلمين المصدر الأول للمعلومات حول النشاط الاقتصادي في زوزن، غير أن الأخبار التي ترد فيها حول النواحي الاقتصادية ولاسيما في القرون الهجرية الأولى تكاد تكون معدومة، ويرجع ذلك إلى سببين حسب رأي الباحثة:

أولا: إن العرب المسلمين لم يهتموا كثيراً بالنواحي الاقتصادية ولا سيما في( فترة البحث) نظراً لانشغالهم بالأمور العسكرية والفتوح.

ثانيًا: قلة اكتراث الجغرافيين المسلمين بالأمور الاقتصادية للمنطقة، حيث اكتفوا بوصف ما رأوه قائماً حين زاروا المنطقة.

ومن هنا يجوز الافتراض بأن الأنظمة الاقتصادية القديمة أستمرت وقتا طويلا قبل أن يدخلها تغيرا كبيرا.

**أولاً: الزراعة ونظم الري:**

أ- ملكية الأراضي الزراعية: كان للزراعة شأن عظيم في عصر الساسانيين حيث مجدتها كتبهم المقدسة، واهتم الأكاسرة بها فنظموا الري وحفروا الترع وأقاموا السدود، ويبدوا ان الدولة الساسانية كانت تعتمد على زراعة مدن خراسان بشكل كبير نظراً لخصب المنطقة ووفرة خيراتها، ولذلك شيد الأكاسرة الساسانيون أحد أهم معابدهم في زوزن وأطلقوا عليه اسم ( آذر برزين مهر ) أي معبد نار الزراع [٢٠] .

إن إجراءات الأكاسرة هذه لم تطبق كليا ولا دائما، فقد كان وضع الأرض والمزارعين سيئة للغاية لاسيما في خراسان ومدنها المختلفة، تحديدا في زوزن، فالنبلاء والدهاقنة يسيطرون على معظم الأراضي الزراعية في المدينة خلال العصر الساساني وقد انحسرت الملكية الفردية تدريجياً بسبب نظام الضرائب الجائر وتراوحت قيمتها بين العشر والعشر والنصف؛ وذلك حسب خصوبة الأراضي وبهذه الطريقة لم يعف أحد من الضريبة مما جعل الفلاحين يضعون انفسهم تحت حماية النبلاء والدهاقنة، وكانت أوضاع المزارعين سيئة غالباً، حيث كانوا مرتبطين بالأرض ومجبرين على العمل بها، وعلى القيام بأعمال السخرة أضافة إلى الانخراط بالجيش أثناء الحروب[٢١] .

وبعد الفتح الإسلامي لزوزن، أدخلت الإدارة الجديدة أنظمتها المالية والضرائبية، كضريبة الخراج وأشارت المصادر التاريخية إلى ذكر مقدار جباية خراج زوزن خمسمائة ألف ، وأن يكونوا أسوة بأهل نهاوند في خراجهم ، والسبب في ذلك يعود إلى انشغال المسلمين بالفتوحات في المشرق الإسلامي لم يوفر لهم الوقت الكافي لتحديد مقدار معين للخراج لذا لجئوا إلى تحديده على غرار خراج أهل نهاوند ، كما

أن عدم تبلور النظام الإداري خلال مرحلة الفتوحات دعت العرب المسلمين إلى اتباع مثل هذه السياسة المالية في كثير من الأقاليم التي فتحوها ، وعلى ما يبدو فأن هذا الأسلوب في جباية الضرائب وتحديد قيمتها ظل معمولاً به حتى فترة غير معلومة تتم فيه الجباية عن طريق الدهاقين وكان الدهاقون وهم رؤساء القرى يقومون بمهمة جمع الضرائب [٢٢]، وضريبة الجزية فرض العرب المسلمين على أهل زوزن الجزية على أن يكونوا أهل ذمة يؤدون الجزية على أن لا يقتل منهم أحدا ولا يسبيه ولا يهدم لهم بيت نار ، ومن خلال نص هذا الصلح يتضح لنا إلى أن غالبيتهم كانوا من المجوس ، فقد عدوا من أهل الذمة وقد اثبت القران الكريم الجزية بنص صريح ، بقوله تعالى: (( قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)) [٢٣] ، واستناداً إلى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : ((سنو بهم سُنة أهل الكتاب)) [٢٤] .

والأخماس، والضرائب المفروضة على الأسواق ومع ذلك لم تتغير كثيرا من أوضاع ملكية الأراضي الزراعية بل بقيت على حالها حيث يذكر المدائني ان الأحنف بن قيس ترك لمرزبان زوزن الأراضي التي اقطعها كسرى لأجداده مقابل أن يؤدي الخراج عنها[٢٥].

كما يذكر الكرديزي أن النبلاء والدهاقنة كانوا يمتلكون معظم الأراضي في العصر الأموي، كما كان لتجار زوزن ضياعهم وبساتينهم الخاصة [٢٦]، ويبدوا انه كان للمعابد المنتشرة في خراسان عامة وزوزن خاصة أراض تتبع لها ويعمل فيها العبيد ، فقد كان لمعبد النوبهار، ما حوله من أراض تبلغ مساحتها ثمانية فراسخ طولاً وأربعة عرضاً [٢٧]، وقد سيطر المسلمون على الأراضي التي كانت تخص الأكاسرة حيث سميت منذ ذلك الوقت بأرض الصوافي وملكيتها تعود لعامة

المسلمين، كما سيطروا على الأراضي التي فتحت عنوة وعدوها فيئاً لهم، ولكن إدارة هذه الأراضي بقيت في يد الدهاقنة، واستمر أهلها يعملون بها كما في السابق مقابل دفع الخراج للمسلمين(٢٨).

**ب- نظم الري:**

اهتم الناس كثيراً بنظم الري لاشتغال معظمهم بالزراعة، وتعددت أساليب الري تبعاً لتنوع تضاريس الأرض، وتعدد موارد المياه التي توفرت في إقليم خراسان.

يبدو إن نظم الري في زوزن كانت اكثر تطوراً من بقية مناطق الإقليم، فقد استثمر السكان مياه نهر هيلمند بطريقة بالغة التعقيد، مما أدى إلى ازدهار الزراعة هذه المنطقة، حيث قام أهل المدينة بجر فرع منه إلى داخل مدينتهم، وجعلوا مياهه تجري في قنوات صنعت من الرصاص يبلغ عددها ثمانية أقيمت على مسناة مرتفعة من الحجارة ولذلك توفرت مياه السقي على مدار السنة، ويذكر الأصطخري إن هذا النهر جاهلي، مما يعني إن هذا النظام كان موجوداً في المدينة قبل الفتح الإسلامي لها (٢٩).

**ج- المحاصيل الزراعية :**

لا تتحدث المصادر عن أساليب الزراعة في إقليم خراسان، لكنها تقدم وصفاً عاماً لطبيعة وزراعة المنطقة، ولا تهتم غالباً بتفاصيل الحاصلات الزراعية، ويبدو إن طبيعة المنطقة وفرت كافة المقومات التي تحتاجها الزراعة، حيث يصف الجغرافيون بأن المدينة طيبة الهواء، عذبة الماء، صحيحة التربة (٣٠) .

وقد تعددت أنواع الزراعات فيها، فتتصف بزراعة الحبوب والكروم الجيدة، وتختص بنوع يسمى الملاحي يستمر قطافه حتى الشتاء، ونوع آخر شبيه بالرازقي يستغلونه في صنع الزبيب، ويزرع محصول آخر وهو القطن، والفستق، والزعفران[٣١].

ويذكر الأصطخري وجود نبات يدعى الحلتيت ويستخدم بكثرة في طعام السكان [٣٢]، كما يذكر ابن حوقل إن اكثر غلات المدينة نبات يسمى المنج [٣٣].

ومن حاصلاتها قصب السكر، والفستق، والنيلوفر، والأترج[٣٤]، كما كثرت فيها زراعة أشجار التوت لتربية دودة القز[٣٥].

وقد بلغ من خصب هذه المدينة أن أهلها لا يتركون مكاناً يخلو من زراعة أو مراعي، ولم يكن القحط والجدب يؤثران في سكانها كثيراً، إذ يتبقى لهم من الغلات ما يكفيهم لكثرتها[٣٦].

ثانياً: الثروة الحيوانية:

شكلت هذه الثروة أحدى مصادر الدخل المهمة بالنسبة لأهل زوزن، فقد ساعدتهم ظروفهم الطبيعية على أن يعملوا في الرعي وتربية الحيوانات ولاسيما عندما تقل الأمطار ولاسيما بتربية الأغنام والإبل بشكل خاص لقدرتها على تحمل قلة الماء [٣٧].

كما أن تجارة الحرير وما تدره من أرباح دفعت الزوزنيين للاهتمام بتربية حيوانات الركوب كالجمال والخيول[٣٨].

**ثالثاً: الثروة الطبيعية:**

شكلت الثروات الباطنية أحد الموارد الاقتصادية المهمة لزوزن، وأهم الثروات والمعادن التي تذكر المصادر وجودها في تلك المنطقة هي: الحديد، النحاس، والزاج والنوشادر والبلور والباذزهر[٣٩].

وفيها عيون زفت ونفط وقير [٤٠]، وكما يوجد معدن البرام والفيروز والدهنج [٤١]، وحوت المدينة على اللازورد [٤٢] ومعدن البلخش [٤٣]، ولا يعثر عليه إلا بعد الإنفاق الكثير من المال في البحث عنه[٤٤].

**رابعاً: الصناعة:**

ازدهرت الصناعة في زوزن نظراً لتوفر المقومات التي تكفل لها ذلك، فقد أمدتها الزراعة بالمواد الأولية، كما وجد في المنطقة العديد من الثروات التي تسمح بقيام صناعة عليها، حيث شبهت المصادر أهل خراسان عامة بالصينيين في دقة الصناعة وإحكامها[٤٥].

وعلى الرغم من إن المصادر لا تورد أخباراً مفصلة حول الصناعة في زوزن، فلا ريب أنها بقيت مزدهرة خلال مدة البحث لعدة عوامل أهمها:

- حاجة السكان للصناعات التي تلبي حاجاتهم اليومية ومتطلبات عيشهم.
- موقع المنطقة الجغرافي، شجع على قيام عدة صناعات، ولاسيما إن العرب حريصون أثناء فتوحاتهم على عدم تدمير البنى الاقتصادية للمناطق المفتوحة، ويظهر من معاهدات الصلح بين

العرب وأهل خراسان إن العرب اهتموا بالجوانب الاقتصادية، ولكنهم أوكلوا العناية بها إلى الحكام المحليين نظراً لانشغالهم بالأمور العسكرية(٤٦).

- ومن عوامل التقدم الصناعي في المدينة عملية الامتزاج التي أنضوت تحت راية الإسلام والحفاظ على التراث الحضاري القديم في الميادين المختلفة، فضلا عن الحرية في ممارسة الأعمال وعدم تدخل الدولة إلا بشكل محدود.

ويمكن تصنيف الصناعات في زوزن إلى:

أ- الصناعات الغذائية: قامت هذه الصناعة على الغلات الزراعية مثل طحن الحبوب وعصر الزيت، واستخدم الأهالي القوى الطبيعية من أجل تدوير طواحينهم مثل مياه الأنهار وقوى الرياح (٤٧)، وقامت على زراعة العنب صناعتان: تجفيف العنب والنبيذ ومن حيواناتهم أستخلص الجبن والسمن(٤٨) .

ب- الصناعات النسيجية: اشتهرت المدينة بصناعاتها النسيجية منذ العصر الساساني، وقد أبدى الصينيون أعجابه بجودة الصناعة النسيجية في إقليم خراسان بشكل عام، وأشار إلى حذق الصناع في نسج الحرير والصوف والسجاد (٤٩).

وتمتدح المصادر الإسلامية هذه الصناعة كثيراً، وتطلق على كل نوع من الأكسية والحلل اسماً مختلفاً تشتقه من رقة الثوب أو سماكته، فالزهري يشيد بصناعة الزوزنيين لنوع من الثياب يعرف بالدينقيات وهي: " ثياب من القطن الطيب مرقومة بالذهب الأحمر وألوان السندس الملون بأحسن الصنائع " (٥٠).

وقامت صناعة السجاد في خراسان منذ القديم، وارتبطت بحاجة السكان إليها، حيث فرض عليهم المناخ أن يفرشوا أرضيات وجدران المنازل بالسجاد اتقاء للبرد، وكانت هذه الصناعة نشطة في معظم مناطق خراسان، ويشير آربري كان السجاد يصنع في زوزن من الأوبار، وبزخارف ورسوم بسيطة [٥١].

ج- الصناعات المختلفة: عرفت في زوزن صناعات مختلفة ترتبط بحاجة السكان اليومية، كصناعة الصابون، والأثاث والأواني كما اشتهرت في صناعة الأواني المطعمة بالفضة، فضلاً عن صناعة الإبر والسكاكين والفخار والخزف الملون [٥٢].

**خامسا : التجارة :**

تمسكت خراسان بتقاليد التجارة الدولية بين الشرق والغرب منذ القديم، وساعدها على ذلك موقعها المتوسط بين الهند والصين وبلاد الترك وبلاد فارس، وكان للطرق تأثير كبير على الوضع الاقتصادي في كل الأوقات، فالطرق هي التي تغذي المدن بمتطلبات الحياة [٥٣]، ويبدو إن لطريق القوافل البرية أهمية كبيرة خلال فترة البحث.

واعتمدت تجارة زوزن على طريق الحرير الشرقي ( طريق خراسان ) حيث يربط هذا الطريق عاصمة الخلافة العباسية ببلاد ما وراء النهر على حدود الصين مروراً بإقليم الجبال وإقليم خراسان، وتخرج منه طرقاً فرعية تصل إلى الأقاليم والمدن التي تقع على أطرافه [٥٤].

ويمر طريق الحرير على أراضي مستوية في الغالب وبعضها متموجة، وعلى يسار الطريق جبال جرجان ( القسم الشرقي لسلاسل البرز )، وعلى يمين المفازة العظمى ( صحراء فارس وخراسان ) [٥٥]، حتى يوافي الطريق مدينة نيسابور إلى هراة حيث ينقسم أيضا إلى فرعين ، يتجه الأول

إلى زوزن ثم إلى بلاد الرخج ومنها إلى الهند، أما الآخر فيسير من هراة إلى مرو الروذ ومنها إلى بلخ [٥٦].

أدى النشاط التجاري في زوزن إلى ظهور فئة التجار التي بدأت تزداد أهميتهم في مدينتهم وهم: التاجر الركاض وهو الذي ينتقل من بلد إلى آخر، وينقل البضائع ويكون لديه معرفة بالأسعار، ويعتمد على وكلاء يثق بهم في كل بلد غريب عنه يساعده ويقيم في كل بلد مدة معينة يبيع ويشتري ويدرس الوضع الاقتصادي في المدن والأقاليم التي يزورها، ولابد له من مكان آمن يودع فيه بضاعته وأمواله لأجراء عمليات التجارة، ويحملون تجارة زوزن اليها ويجلبون تجارة تلك البلاد إلى مدينتهم [٥٧]، وقد دلت الوثائق الصينية على أنه كان لهم وكالات لتسيير أعمالهم في الصين، أما التاجر الخزان الذي يقوم بشراء السلع والبضائع ويخزنها وقت توافرها مستغلا كثرة عرضها في الأسواق ثم يحفظها وينتظر الفرصة المناسبة لبيعها في الأسواق دون الحاجة إلى السفر [٥٨].

والفئة الثالثة من تجار زوزن هو التاجر المجهز لا يسافر وإنما يجهز السلع ويعتمد في تجارته على وكلاء مأمونين يرسل لهم البضائع لبيعها وهؤلاء يقومون بشراء البضائع له وأرسالها اليه.

اشتملت قائمة المواد المصدرة في زوزن أنواعا عدة، كان منها الحرير والقطن والصوف والمقانع[٥٩]، ومن الغلات: القمح والأرز والعنب والرمان وقصب السكر والزعفران والسمسم والبطيخ الذي كان ينقل في قوالب الرصاص مملوءة بالثلج، إضافة إلى الصناعات الخشبية والأواني المعدنية[٦٠].

أما عن البضائع التي تجلب اليهم فهي عديدة منها: الرقيق والخيل والياقوت وأنواع البخور كالعود والصندل والكافور والحرير المرسوم عليه بالصور ويدعونه كيماخو(٦١).

ولابد من الإشارة أخيرا إلى أسواق زوزن فقد وجد فيها نوعان من الأسواق: النوع الأول: أسواق عامة يومية يبيع فيها التجار بضائعهم في دكاكين وحوانيت مرتبة، وربما كان بإمكان الناس ان يشتروا بعض المنتجات من المصانع مباشرة دون الحاجة إلى وسيط تجاري (٦٢).

والنوع الثاني: أسواق خاصة تقام في مواسم ومواعيد معينة ولمدة محدودة قد تستمر ليوم واحد أو لبضعة أيام، وبحسب البيروني قد أعتاد أهل خراسان أن يقيموا أسواقاً خلال أعيادهم(٦٣).

وكان يقام في مدينة زوزن سوق سنوي منتصف الشتاء يستمر عشرة أيام، وكانت الغلات هي السلع الأكثر بيعاً أضافة إلى صناعة الحلويات، والأسماك المملحة والطازجة(٦٤).

**الاستنتاجات :-**

**يمكننا أن نسجل جملة من النتائج المستخلصة من هذا البحث بإيجاز :**

اولاً: لقد استمرت الحياة الاقتصادية في زوزن عما كانت عليه قبل الفتح الإسلامي للمدينة بشكل عام، لكن هذا الفتح أحدث متغيرات إيجابية في المجتمع لكن بشكل حضري على سكانها حيث أصبح بإمكانهم أن يتفرغوا لأعمالهم المدنية التي ازدهرت على الأغلب بعد أن حقق الفتح الإسلامي استقراراً سياسياً ضرورياً لهذا الازدهار.

ثانياً: أحسن الأهالي استثمار الموارد الطبيعية في مدينتهم ، ويتجلى ذلك بشكل واضح في نظم الزراعة والري المتطورة إلى حد كبير، وكذلك في نجاح السكان في الاستفادة من الطاقات الطبيعية كاستغلال الرياح في صنع طواحين الحبوب.

ثالثاً: كان لموقع زوزن الجغرافي ومرور طرق مواصلات منها لاسيما أحد فروع طريق الحرير أثر في قيام حركة تجارية نشطة بينها وبين بقية بلاد فارس والدول الأخر.

رابعا: إن تطور الحياة الاقتصادية وظهور سياسات جديدة وتغيير طرق التجارة الدولية، أدى إلى أفول هذه المدينة حيث فقدت عظمتها ومجدها بعد أن كانت ملتقى طريق الحرير.

المصادر والهوامش:

(١) كريستنسن ، آرثر ، ايران في عهد الساسانيين ، تر: يحيى الخشاب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د.م.) ، ١٩٩٨ ، ص١٣٣ ؛ فرزات ، محمد حرب ، مدخل إلى تاريخ فارس وحضارتها القديمة ، منشورات جامعة دمشق ، ط٢ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص٩٣ .

(٢) بيرنا حسن ، تاريخ ايران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني ، تر : محمد عبد المنعم ، السباعي محمد السباعي ، دار الثقافة للنشر ، ط٢ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ، ص١٨ .

(٣) الحموي ، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ) ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ( د.ت ) ، مج٢ ، ص٣٥٠ ؛ ابن الأثير ، عز الدين محمد علي بن محمد بن محمد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، اللباب في تهذيب الأنساب ، دار حامد ، بيروت ،( د.ت ) ، ج١ ، ص٤٢٩ .

(٤) خسروي ، محمد رضا ، جغرافياي ولايت زاوة ، مشهد ، ١٩٨٩ ، ص١٤٦.

(٥) لسترنج ، كي : بلدان الخلافة الشرقية ، تر : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م ، ص٤٣٢ .

(٦) اقليم خراسان : احد أقاليم الدولة الإسلامية تصل حدوده الى حدود العراق وقصبة جوين وبيهق والهند وطخارستان وسجيستان وكرمان ، ويضم أمهات البلاد وهن : نيسابور هرات ومرو وبلخ ، وفتحت معظم هذه المدن وكان ذلك سنة (٣١هـ/٦٥١م) . ينظر : الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٥٠-٣٥١ .

(٧) الهروي ، أبو الحسن علي بن ابي بكر ( ت ٦١١هـ/١٢١٤م) ، الإشارات إلى معرفة الزيارات ، تحقيق : جانيين سورديل ، دمشق ، ١٩٥٣، ص٩٩؛ البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ( ت٧٣٩هـ/١٢٣٨م) ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٥٥ ، ج٣ ، ص١٤١١ .

(8) Bosworth , C,E : khurasan , Encyclopeia , of Islam , Brill ,Leiden ,1986, p.55-56 .

(٩) إبراهيم بن محمد ، المسالك والممالك ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٣٧، ص٢٥٣.

(١٠) محمد بن احمد بن أبي بكر البناء البشاري ، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق إبراهيم الخوري ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ص٢٦٠ .

(١١) معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٨٨ .

(١٢) حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر ، تاريخ كزيدة ، بإهتمام : عبد الحسين نوائي ، مؤسسة أمير الكبير ، ط٣ ، طهران ، ٢٠٠٢م ، ص٩٠ .

(١٣) محمدي : محمد ، خراسان ، بحث منشور ضمن صحيفة أطلا عات إيرانية ، العدد ٤٦ ، طهران ، ١٩٨٥ ، ص٥٣ .

(١٤) طبسين : هما حصنان يقال لأحداهما طبس الآخر وتعد بوابة خراسان ، ينظر : البلاذري : أبو الحسن احمد بن يحيى بن جابر ( ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ( د.ت ) ، ص٣٩٤ .

(١٥) رستاق : لفظ فارسي تعني قرية : ينظر التونجي ، محمد ، المعجم الذهبي فارسي – عربي ، دار العلم للملايين ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص٢٩٦ .

(١٦) بشت : ناحية من نواحي نيسابور بناها كسرى بشتاسف لهذا سميت بشت ويتبعها مائتان وست وعشرون قرية ينسب اليها عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء . ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٢٥ .

(١٧) زاوة : قرية من قرى نيسابور سميت بهذا الاسم لأن المدخل اليها كان من الشعاب ، ونسب اليها كثيراً من العلماء والأدباء . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٢٨ .

(١٨) اليعقوبي : أحمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) ، البلدان ، مطبعة بويل ، ١٨٩١ ، ص٢٩٦ .

(١٩) اليعقوبي ،المصدر نفسه ، ص٢٩٧

(٢٠) كرستينسن ، ايران في عهد الساسانيين ، ص١٥٧.

(٢١) بيرنا ، تاريخ ايران من البداية حتى نهاية العهد الساساني ، ص٢٩٦.

(٢٢) ينظر : أبي يوسف ، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد( ت ١٨٢هـ /٧٩٨م ) : الخراج ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، سعد حسن محمد ، المكتبة الأزهرية للتراث ( القاهرة ، د.ت ) ص٣٤ ؛ الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب ( ت٤٥٠ / ١٠٥٨م): الأحكام السلطانية ، دار الحديث ( القاهرة ، د.ت ) ص١٤٦.

(٢٣) سورة التوبة / الآية ٢٩.

(٢٤) أبو يوسف ، الخراج ، ص١٣٠ .

(٢٥) الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير ( ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سيروان ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ج٤ ، ٣١١.

(٢٦) أبو سعيد عبد الحي (٤٠٤هـ/١٠١٣م) ، زين الأخبار ، تعريب : محمد تاويت ، مطبعة محمد الخامس ، فارس ، ط١ ، ١٩٧٢ ، ص٦٨ .

(٢٧) ابن الفقيه ، ص٣٢٣ .

(٢٨) أرض الصوافي : هي أراضي تخلى أصحابها عنها مثل الأراضي التي كانت لكسرى وهرقل وخاصته ، وضمت لبيت مال المسلمين . فللحاكم الحرية في التصرف بها عن طريق أعمارها أو جعلها هبة لمن شاء أو أقطاعها وفرض نوعية الضريبة عليها .ففي العصر الأموي أستصفى معاوية بن أبي سفيان أراض في عدة قرى ، كما أستصفى هشام بن عبد الملك عددا آخر من الأراضي وغرس فيها الأشجار والنخيل وأستمرت هذه السياسة طيلة العصور العباسية فأستصفوا الأراضي ومنحوها لأنصارهم. ينظر : أبو يوسف ، كتاب الخراج ، ، ص٥٩.

(٢٩) الأصطخري ، المسالك والممالك ، ص٢٦٥ .

(٣٠) الأصطخري ، المسالك والممالك ، ص٢٧٤ ؛ ابن حوقل ، أبو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) ، صورة الأرض ، ليدن ،١٩٣٨،ص٣٧٠ ؛ لسترنج ، بلدان الخلافة، ص٥٣١ .

(٣١) ياقوت ، معجم البدان ، ج٥ ، ص٣٣١ .

(٣٢) الحلتيت : صمغ شجرة الأنجذان وهو نوعان ابيض يؤكل ، واسود نتن الرائحة ، ويستخرج الصمغ من ورق الشجرة وساقها . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، مادة حلت ، ص٣٥٠؛ شير ، الألفاظ الفارسية المعربة ، دار العرب ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص٥١ .

(٣٣) المنج : هو اللوز الصغار ،ينظر. ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، مادة منج ، ص٣٧٠ .

(٣٤) مجهول ، حدود العالم من المشرق إلى المغرب ، تح : يوسف الهادي ، الدار الثقافية للنشر ، ط١ ، القاهرة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩، ص٧٣ ومايليها .

(٣٥) المصدر نفسه ، ص٧٤ .

(٣٦ ) محمدي ، محمد، مدينة زوزن مقال منشور ضمن صحيفة أطلاعات إيرانية ، العدد (٣٠٩) ، تهران ١٩٨٦ ، ص٧٠ ، وزودت الباحثة بهذا المقال من قبل المستشارية الثقافية الإيرانية في دمشق.

(٣٧) المرجع نفسه ، ص٧١ .

(٣٨) لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص٤٧١ ؛ مجهول ، حدود العالم ، ص٨٨ .

(٣٩) النوشادر : مادة صلبة ذات طعم حامض حاد ، تعرف بكبريت النار وملح النار والنوع الطبيعي كالذي يوجد في زوزن من المعادن العزيزة النادرة وله من الألوان الأغبر والأبيض والأسود . أما الباذزهر : حجر تنسب أليه قوى غريبة في مقاومة السموم ، وله الوان عديدة كالأصفر والأغبر الصافي الشفاف . وحجر البلور : زجاج معدني صلب تصنع منه الأواني . ينظر : القزويني : زكريا بن محمد ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، مؤسسة الأعلمي ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٠م ، ص١٧٩ ؛ الخوارزمي : أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف ( ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)، مفاتح العلوم ، تصحيح عثمان خليل ، ( د.م) ، ١٩٣٠ ، ص١٤٨.

(٤٠) القير : هو شيء اسود تطلي به السفن لمنع الماء من اختراقه وقيل الزفت . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ، ص١٣٤ ؛ القزويني ، عجائب المخلوقات ، ص٢٠٤ .

(٤١) الدهنج : حصى اخضر يداخله النحاس تتخذ منه الفصوص والخرز . المطرزي ، أبو الفتح ناصر الدين ، المغرب في ترتيب المعرب ، تح : عبد الحميد مختار ، مكتبة أسامة بن زيد ، ط١ ، حلب ، ١٩٧٩ ، ج١ ، ص٧١ .

(٤٢) اللازورد حجر فيه عيون براقه يتخذ منه الخرز . الخوارزمي ، مفاتح العلوم ، ص١٤٨ .

(٤٣) البلخش : نوع من الجواهر ملون بالأحمر والأصفر . الخوارزمي ، المصدر نفسه ، ص١٥٤.

(٤٤) المصدر نفسه ، ص١٥٤ .

(٤٥) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص٢٩٤ .

(٤٦) بوزورث ، شاخت ، جوزيف كليفورد ، تراث الإسلام ، ترجمة : محمد زهير السمهوردي ، حسين مؤنس ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ٢٣٣ ، ط٣ ، الكويت ، ١٩٨٨ ، ص٣٠١.

(٤٧) خسرو ناصر ، سفرنامة ، ترجمة : يحيى الخشاب ، مطبوعات معهد اللغات الشرقية ، ط١١ ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، ص١٠٤ .

(٤٨) مجهول ، حدود العالم ، ص٧٧ ، العابد ، عضيد رائف ، معالم تاريخ ايران الساسانية ، دار الفكر ، ط١ ، دمشق ، ١٩٩٩ ، ص١٢٤ .

(٤٩) كريتنسين ، ص١٤١ .

(٥٠) الزهري ، محمد بن أبي بكر ، كتاب الجغرافية ، تح : محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، (د.ت) ، ص٦٠ .

(٥١) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص١٥٤ .

(٥٢) العلان ( ارواد ) ، فرعون ، محمود ، دراسات في تاريخ فارس وحضارتها حتى الفتح العربي ، مطبعة جامعة دمشق ، ٢٠١٢ ، ص١٤٨ .

(٥٣) حمدان ، جمال ، جغرافية المدن ، عالم الكتب ، القاهرة ، ( د.ت) ، ط٢ ، ص٣٠٦ . الصمادي ، رائد احمد سليمان ، طريق الحرير وأهميته الإدارية والاقتصادية في القرنيين الثالث والرابع الهجري/التاسع والعاشر الميلادي في المشرق الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب (بغداد ،٢٠٠٠م ) ص١٩.

(٥٤) متز ، آدم ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة : عبد الهادي ابو ريدة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ط٢ ، ج٢ ، ص٤١٤ ؛ Verma , H.C mediavel routs to india , (Calcutta –1978) , p.24.

(٥٥) ابن رستة ، ابو علي احمد بن عمر (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) ، الأعلاق النفسية ، مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٨٩١ ) ، ص١٧٠ .

(٥٦) اهمل البحث ذكر التفرعات الرئيسة والمدن الكثيرة لهذا الطريق ، وذكر الطريق الفرعي الذي يمر بزوزن .

(٥٧) شاخت بوزورث ، ج١ ، ص١٦٤ ؛ Litvinsky , B,A : History of civilazations of central Asia , Delhi , 1993 , vol 3 , p.238.

(58) Litvinsky , p.239.

(٥٩) المقانع : جمع مقنعة ، وهي ماتغطي به المرأة رأسها والقناع أوسع منها . ابن سيدة ، ج٤ ، ص٣٨.

(٦٠) الثعالبي : ابر منصور عبد الملك بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م) ، لطائف المعارف ، تح : إبراهيم الأبياري ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص١١٨ .

(٦١) المصدر نفسه ، ص١٢٧ .

(٦٢) مجهول ، حدود العالم ، ص٧٥ .

(٦٣) البيروني ، الآثار الباقية ، ص٢٣٥ .

(64) S.SBlair , (Ather–Iran ) , vol 1 , 1949 , p.50